فنّ الأنسنة في شعر إبن الرومي

حمزه خالد جلوب الشمري
طالب الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مازندران ، إيران
hamza.alhazin@gmail.com
الدكتور بهروز قربان زاده (الكاتب مسؤول)
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مازندران ، إيران
b.ghorbanzadeh@umz.ac.ir
الدكتور مهدي شاهرخ
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مازندران ، إيران
m.shahrokh@umz.ac.ir

The Art of Humanism in Ibn Al-Rumi's Poetry

Hamza Khaled Glob Al-Shamry
Master's student , Department of Arabic Language and Literature , University of Mazandaran , Iran
Dr. Behruz Gorbanzadeh (Responsible Writer)
Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Mazandaran , Iran
Dr. Mehdi Shahrokh
Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Mazandaran , Iran

الخلاصة :

الأنسنة هو اصطلاح نقديّ يتمثل في تحويل الجمادات إلى بشر يحسّون ويشعرون. كثر استخدام فن الأنسنة في الشعر العباسي بعد اندماج الشعراء بالطبيعة فبدأوا يتصورون الطبيعة مجتمعاً إنسانياً بكلّ تفاصيله وأخذوا يستعيرون بالطبيعة لوصف عالمهم كما خلعوا مشاعرهم وأحاسيسهم الإنسانية علي الطبيعة. وكان ابن الرومي من أبرز شعراء الوصف والطبيعة في العصر العباسي فقد ظهرت براعته وقدرته في الوصف أكثر من براعته في بقية الفنون، فقد كان الوصف مزية ابن الرومي الأولى عالج به مختلف أبوابه الشعرية وبه عبر عن أحاسيسه الداخلية لذلك صار من أبرع وأشهر الوصافين في الأدب الشعري وبه عبّر عن أحاسيسه الداخلية خاصة في تصويره الطبيعة واندماجه فيها. يحاول هذا البحث أن يتناول ظاهرة الأنسنة في شعر ابن الرومي من خلال المنهج الوصفي التحليلي وأن يسلط الضوء علي هذا الفنّ التصويري وقد لخص البحث إلي أنّ الشاعر انغمس في الطبيعة بكلّ ما تحمله من رياض وطيور وأزهار وورود ونبات وأخذ يضفي عليه مشاعره وأحاسيسه وقد وهبه سمات الإنسان فاصبحت الطبيعة لدي الشاعر تنطق وتري وتتحوار وتسمع وتبكي وتضحك وتختال... وهي تتميز بكلّ حواسّ البشر الحي وكان الشاعر يهدف من عملية الأنسنة فضلاً عن خلق الجمالية في الوصف، التعبير عن أفكاره وأحاسيسه وعالمه ومجتمعه فإذا ما دقّقنا في وصفه نجده انعكاساً دقيقاً لنفسية الشاعر وومشاعر الإنسان عموماً.

الكلمات المفتاحية : الأنسنة ، إبن الرومي ، الطبيعة ، الوصف .

Abstract:

Humanization is a critical term that consists in transforming inanimate objects into human beings who feel and feel. The use of the art of Missing in Abbasid poetry increased after their merging with nature, so they felt that they imagined nature as a human society in all its details, and they borrowed from nature to describe their world, as they stripped their human feelings and feelings over nature. Ibn al-Rumi was one of the most prominent poets of description and nature in the Abbasid era, as his skill and ability in description appeared more than his skill in other arts. Through it, he expressed his inner Arab feelings, especially in his portrayal of nature and his integration into it. This research attempts to address the phenomenon of humanism in Ibn al-Roumi's poetry through the descriptive-analytical approach and to shed light on this pictorial art. The poet's nature became to speak, see, dialogue, hear, cry, laugh, and circulate... It is distinguished by all the senses of living human beings. The poet aimed from the process of humanization as well as creating aesthetics in description, expressing his thoughts, feelings, world and society. people in general.

Key words : humanism , Ibn Al-Roumi , nature , description .

المقدمة :

درج مصطلح "الأنسنة" و"الإنسانوية" في كتب الفلسفة والنقد وهما لفظتان مشتقتان من لفظة (إنسان). وقيل عن (الإنسانوية) كلام كثير، مفاده: إنّها كمفهوم فلسفي تركز على الإنسان كمحور لتفسير الكون بأسره. جاء في لسان العرب: «الشّخص: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد. والشخص كلّ جسم له ارتفاع وظهور. والمراد به إثبات الذات, فاستُعير له لفظ شخص.(ابن منظور، ١٩٩٨: مادة أنس) الأنسنة لغة مأخوذة من لفظة إنسان. إذ يقول ابن منظور: الإنس: الإنسان، وهو معروف، يُجمع على ناس. (المصدر نفسه) واصطلاحاً هي إضفاء بعض الصفات الخاصة بالإنسان على الجمادات والأشياء أو علي بعض العوالم المطلقة أو المجردة، مثل الأخلاق، والشمائل. يهدف المقال دراسة أنسنة الأشياء في شعر ابن الرومي وللوصول إلي هذا الهدف، البحث أمام الأسئلة الآتية :

١. كيف عمد ابن الرومي في شعره إلى أنسنة الأشياء للتعبير عمّا يجول في خاطره ؟

٢. ما هي الأغراض الشعرية التي استخدم فيها ابن الرومي الأنسنة ؟

أما منهج البحث فقد يعتمد علي المنهج الوصفي – التحليلي إذ يُعَدُّ المنهج الوصفي التحليلي من بين فروع الأبحاث الوصفية المُهمة، فقد ندرس الأنسنة وحياة الشاعر من خلال المنهج الوصفي ثم ندرسها في شعر الشاعر معتمداً علي المنهج التحليلي.

الدراسات السابقة :

هناك بعض الدراسات تناولت شعر ابن الرومي ولكن لم يدرس موضوع الأنسنة في شعره وهذا ما نريد أن ندرسه في هذا البحث، من أهم الدراسات في شعر ابن الرومي هي :

١. درس ياسر الطيب محمد أحمد، في أطروحته في الدكتوراه بعنوان "ألوان البديع في شعر ابن الرومي"، بجامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، وكان الغرض من هذه الدراسة بلاغياً نقدياً إذ تعرّض الباحث إلى المواطن البلاغية التقليدية في شعر ابن الرومي .

٢. كتبت إلهام محمد أحمد الطويل، في رسالتها الماجستير وعنوانها "الأسماء المشتقة في المديح والهجاء في ديوان ابن الرومي، (دراسة صرفية دلالية)"، بجامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٢، الأسماء المشتقة في المديح والهجاء في ديوان ابن الرومي دراسة إحصائية صرفية عمدت فيها الباحثة إلى إحصاء الأسماء المشتقة في المديح والهجاء عند ابن الرومي .

٣. درست وفاء عمر عثمان الفوتي في رسالتها الماجستير بعنوان "قصيدة الرثاء عند ابن الرومي (دراسة موضوعية)"، في جامعة أم القرى السعودية قصائد الرثاء عند ابن الرومي بدراسة موضوعية بيّنت من خلالها مواضع روعة الرثاء في شعر ابن الرومي .

٤. كتب محمد عيسى عبد الله الحوراني أطروحته الدكتوراه بعنوان "الدهر في شعر ابن الرومي (دراسة تحليلية)"، بجامعة اليرموك كلية الآداب قسم اللغة العربية،٢٠١٣، ناقش فيها أطوار التشاؤم وذكر الدهر في شعر ابن الرومي .

٥. كتب هويدا الطريفي الإمام علي بن عوف، رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الآداب في اللغة العربية، ٢٠٠٩. بعنوان "ملامح الحياة الاجتماعية في العصر العباسي من خلال شعر ابن الرومي"، بجامعة الخرطوم، ودرس تصوير المجتمع العباسي في عصره الثاني من خلال شعر ابن الرومي، كما تهدف الرسالة إلى الوقوف على أسرار اللغة العربية ومعرفة جميع خفاياها ولا سيما في ذلك العصر الذي امتزجت فيه الحضارات وتلاقت فيه جميع الثقافات .

٦. كتب أحمد يوسف على كتاباً بعنوان "نقد الشاعر في مدرسة الديوان ابن الرومى نموذجاً"، المنشور في مكتبة مدبولي حيث تناول فيه شعر الشاعر ابن الرومي من وجهة نظر نقدية .

ولكن كما قُلنا لحدّ الآن لم يكن هناك دراسة بحث الأنسنة في شعر الشاعر فلذا ولخلو الساحة الأدبية من هذا البحث ودوره في تذوّق أعمق وأحسن لشعر الشاعر فقد ندرس الموضوع في شعره في هذا المقال إذ إنّ دراسة الأنسنة في شعر ابن الرومي هي دراسة لم يتطرق إليها الدراسون الذين تعرضوا لدراسة ابن الرومي.

الأنسنة لغة واصطلاحاً

الأنسنة لغة مأخوذة من لفظة إنسان. يقول ابن منظور: الإنس: الإنسان، وهو معروف، يُجمع على ناس.(ابن منظور، ١٩٩٨: مادة أنس)

اما اصطلاحاً فهو إعطاء خاصية بشرية للجماد أو للمعاني المجردة مثل الأخلاق، كقولنا: تنفس الصبح. فالصبح ليس كائناً حيّاً له رئتان يتنفس بهما، لكن القرآن الكريم استعمل هذا التعبير المجازي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (التكوير/١٧و١٨)

اما التَّشخيص فهو اصطلاح بلاغيّ ، يعني تحويل الجمادات إلى كائن حيّ دون اشتراط الإحساس واللَّمسة الإنسانيَّة؛ ولهذا فالأنسنة مفهوم أعمق وأكثر تعبيراً من التَّشخيص. قال سيد قطب : «والتشخيص – ونعني به خلع الحياة وتجسيمها على ما ليس من شأنه الحياة المجسّمة من الأشياء والمعاني والحالات النفسية- فنّ في القرآن، يرتفع بالصور وبالمشاهد التي يعرضها إلى حدّ الإعجاز بما يبثّ فيها من عنصر الحياة» (سيد قطب، ١٩٩٧: ٦٧). و قد جعل الآيتين المسؤول عنهما من هذا القبيل في كتابه التصوير الفني في القرآن في قوله

تعالى : (ولّما سكت عن موسى الغضب)، تشخيص الغضب كأنّه إنسان يقول ويسكت. (المصدر نفسه)

الأنسنة هو اصطلاح نقديّ يتمثل في تحويل الجمادات إلى بشر يحسّون ويشعرون. (وهبة، ١٩٨٤: ١٠٢) إنّ إبداع الشاعر للصورة الشعرية تطلب منه أنسنة المحسوس، والذهن؛ لإثارة حاسة المتلقّي نحو النص، ووضعه في مساره الإبداع الذي تحفظ للغة ببكارتها، وألقها دون أن يجعلها وسيلة للتعرّب فقط، ممّا جعل الشاعر يوغل في رسم صورة حلمة للمشهد تتحرر فيها الألفاظ من طاوعتها المعهودة؛ لتلمس أفقاً خصبا عند المتلقي يُعد للذات حياتها ويذكرها ببعض مقومات وجوده فالشاعر من غير أن يعي كلّ الوعي، يمتزج عالمه الظاهري وعالمه الباطن في لحظة شعورية وأخرى لا شعورية، لأنّ هناك مناحي مترسبة في أعماق الوجدان، يستطيع الشاعر الفنّان أن يجعلها تبرز مخترقة ستار الوعي (طبانة، ١٩٩٩ : ١٢٤)

إنّ مغادرة اللغة لطبيعتها التعبيرية انحياز واضح لشعرية النص، والفكرة المعّبر عنها، إذ جاء ترسيخ فعل الأنسنة في الشعر؛ لضف فاعلية وجدانية على الجسد الكائن المؤنسن، لذلك نجد الشاعر يستبيح عذرية اللغة؛ ليتجه بالنص الشعري نحو رؤى أخرى وجدها عند معايشته للواقع، ممّا جعلها تبدو في صورة حية تعكس طبيعة ما يحسه الشاعر (المصدر نفسه)

ولعبد القاهر الجرجاني رأي آخر طريف في الاستعارة تميز به من بقية البلاغيين العرب، فقد وسّع هذا العالم تفكيره في الاستعارة حينما تحدث عنها في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، إذ يرى بأنّ الأصول الكبيرة لعلم البيان ويتفرّع عنها محاسن الكلام هي: التشبيه والتمثيل والاستعارة (الجرجاني، ١٩٩١: ٢٧)

إنّ الأنسنة هي العملية التي يمنح بها شيء ما الصفات الإنسانية. يمكن أن يكون هدف أنسنة شيئاً، أو حيواناً، أو شخصاً، ولفهم الأنسنة بشكل أفضل، من الضروري فهم ما هي الصفات البشرية. ترمز كلمة الإنسان بشكل رمزي إلى الجودة الواعية والمدروسة التي يتمتع بها الناس من كونهم متعاطفين، متضامنين، مؤثرين، متواصلين، محبين، اجتماعيين، عقلانيين، وعلائقيين. في المقابل، يعتبر العمل المتعمد ضدّ التعاطف والتضامن والمودة والتواصل والحب والمجتمع والعقل والعلاقة غير إنساني بهذا المعنى، يعارض الإنسان الحيوان أو الوحش، الكائنات التي لا يتدخل فيها الوعي على هذه الصفات والذين لا يتصرفون بشكل متعمد في وظيفتهم. وهكذا، عندما يصبح شخص ما غير إنساني أو غير إنساني، هناك حديث عن الحاجة الملحة لإعادة الإنسانية.(الصائغ، ١٩٨٧: ٤١٦)

للبحث عن عناصر الأنسنة ومرتكزاتها يجب أن نقول إنّ الأدب مكون لغوي بالدرجة الأساسية، وتتميز اللغة الأدبية بتحّولها من التقرير والمباشرة إلى بؤرة قادرة على استقطاب شبكة من الإيحاءات والإشارات الرمزية، فإنّ عملية الأنسنة تجعل من هذه اللغة المنزاحة مادة خصبة لتشكيل الأشياء تشكيلاً إنسانياً فتكون لوحة مشبعة بالتفاعل والحركية تحمل رؤية الشاعر للوجود عن طريق عمل فني متماسك مما تثير انتباه النقاد والدارسين للبحث عن العناصر المكونة للسمة الفنية داخل النص، واستكشاف مكمن قدرته التأثيرية.(التميمي، ٢٠٠٧: ٦٩)

ابن الرومي الشاعر، نبذة عن حياته :

ابن الرومي هو ابو الحسن علي بن العباس بن جريج وقيل جورجيس وُلد في القرن الثالث للهجرة (٢٢١- ٢٨٤ق) فأدرك نهاية العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢ق) وقضى معظم حياته في العصر العباسي الثاني (٢٣٢ – ٣٣٤ق) (ناصيف، ٢٠٠٦: ٣٤)

وعاصر ثمانية من الخلفاء : الواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتزّ والمهتدي، والمعتمد، والمعتضد، ولكنه لم يحظ بأي مكانة متميزة عند أي أحد منهم ، كان ابن الرومي مولى لعبد الله بن عيسى، ولا يشكّ أنّه رومي الأصل، فإنّه يذكره ويؤكّده في مواضع من ديوانه. وكانت أُمّه من أصل فارسي، وهي امرأة تقية صالحة رحيمة، كما هو واضح من رثائه لها. (عبدالمجيد، ١٩٩٢: ٨٩)

ابن الرومي شاعر عباسي كبير ، من طبقة المتنبي وبشار، شهدت حياته الكثير من المآسي والتي تركت آثارها على قصائده، تنوعت أشعاره بين المدح والهجاء والفخر والرثاء، وكان من الشعراء المتميزين في عصره، وله ديوان شعر مطبوع. (عطوي، ٢٠٠٢: ٥٢)

يتمير ابن الرومي بأنّه صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية.(معتوق، ١٩٨٤: ١٨٢)

وقد عُرف بقدرته الكبيرة على الوصف والشعر، وتوليد المعاني المبتكرة، بالإضافة إلى أنه اشتُهر بديوانه الذي يعدّ من أكبر الدواوين الشعريّة، وقد قيل بأنّه مات مسموماً بسبب هجائه للوزير القاسم بن عبيد الله، وقد عرف ابن الروميّ بأنّه ما مدح رئيساً أو مرؤوساً إلا وعاد إليه فهجاه، ولذلك قلّت فائدته من قول الشعر، وهذا ما كان سبباً في وفاته.(حمود، ١٩٩٤: ٣٥٤)

توفي الشاعر ابن الروميّ في ٢٨ من شهر جمادى الأولى من عام ٢٨٣ق، الموافق لـ ١٣ من شهر تموز من عام ٨٩٦ ميلادي. (أبو مصلح، ١٩٩٥: ٩٧)

البحث والدراسة

قد يسهل الكلام على الوصف في شعر ابن الرومي لأنّه اختص به واعتمده على الرغم من إجادته لفنون شعرية شائعة في الأدب العربي كالمديح

والرثاء والغزل والهجاء وغير ذلك من الفنون، لكن ظهرت براعته وقدرته في الوصف أكثر من براعته في بقية الفنون، فإنّ الوصف «مزية ابن الرومي الأولى عالج به مختلف أبوابه الشعرية وبه عبر عن أحاسيسه الداخلية (غريب، ١٩٣٨: ٦٤) لذلك صار من أبرع وأشهر الوصافين في الأدب الشعري وبه عبر عن أحاسيسه الداخلية خاصة في تصويره الطبيعة واندماجه فيها وربما كان هذا الاندماج وليد فشله في المجتمع والنكبات التي توالت عليه في الحياة كما لو كان قد هرب من واقعه، بالتجائه إلى الطبيعة حتي ينسى في أكنافها ألمه (نوفل، ٢٠٠٢: ٨٤)

لقد امتزجت نفسية الشاعر بنفسية الطبيعة، فلقي بين أحضانها كلّ ما حرمته إياه الحياة، إنّ عالم الطبيعة في شرعه هو عالم الإنسان نفسه، لذلك كان يضفي عليه حالاته الداخلية ويحمله ما يزخر به وجدانه من انفعالات. استمد في أوصافه لها من التشبيه وجعل الأشياء الثمينة والأحجار الكريمة كمشبه‌به في وصفه للطبيعة لرواجها في عصره كما استمدّ من التشخيص فشخصها وأعطاها الشعور. (أبو مصلح، ١٩٩٥: ٩٧)

إنّ أنسنة الأشياء في الشعر العربي ليست مختصة بابن الرومي حصراً فقد نهج الشعراء القدماء والمحدثون هذا المنهج في استنطاق الأشياء من حولهم لكي يعبّروا عما يجول في خواطرهم دون قيود. وابن الرومي أحد هؤلاء الشعراء الذين أنسنوا الأشياء.

يصف الشاعر حال الأزهار والورود وقد امتلأت بالدمع بحال العيون المغرورقة بالدموع من خلال فنّ الأنسنة:

وَظَلّت عُيون النور تخضلُّ كَما اغرَورقَت عَين الشّجي
يراعينها صُوَراً إليها رواينا وَيلحَظن ألحاظنا من الشّجو
وَبَين إغضاءِ الفِراقِ عَلَيهما كَأنّهُما خلّا صَفاء تودّعا

(ابن الرومي، ١٩٩٥: ٤/٤٧٥)

إنّ الأزهار قد تجمع عليها الندي وباتت تشبه حال العيون المغرورقة بالدموع وكانت الورود تلاحظ تلك الأزهار بعيون خاضعة رقّت علي حالها حتي كان تلك الأزهار أخلاء قد تفارقوا؛ وهنا يلاحظ أنّ تصوير الأنوار الندية بالعيون الباكية جاء بفعل فن الأنسنة والصورة تهدف الي بيان حال المشبه وتعبّر عن أسي الشاعر علي مشهد البكاء الذي أثار في نفسه لواعج الحزن فالطبيعة تذكره بحياة العاشقين وإضفاء سمات الإنسان من مثل البكاء والملاحظة والمراعاة والفراق والوداع كلها من سمات حياة الإنسان تشهد علي سعة خيال الشاعر وغوره في انتقاء الصور البعيدة وخلفها علي المشهد الطبيعي.

كما يصف حال الأرض وقد تزينت بزهور النرجس وباتت تتخايل به علي السماء:

وَإذا ما تَحلَّت الأرضُ بِالنَر جسِ باهَت بِهِ نُجُومُ السّماء

(المصدر نفسه: ١٠٧/١)

إنّ الأرض ازدانت بأزهار النرجس وراح تتفاخر به علي كل نجوم السماء وتتباهي بحسنها؛ وتصوير الأرض المزدانة بالنرجس وهي تتفاخر علي السماء المزدانة بنجومها إنما هو من قبيل فنّ الأنسنة أي إنّ الشاعر جعل الأرض أمام السماء وتخيلهما وهما يتباهيان علي بعض منهم من يفتخر بنرجسه ومنهم من يتباهي بنجومه والتصوير وقد استقي الشاعر بعض الصورة من التراث الديني في قوله تعالي: (والسماء زيناها بمصابيح) (ملك/٥) فقد جعل النجوم زينة وهنا وازن الشاعر فعل النرجس زينة الأرض وبذلك عقد التباهي والتفاخر بينهما والتصوير يشهد علي سعة خيال الشاعر وبراعته في تجاوز الصور الاعتيادية والاتيان بصورة بديعة.

كما يصف النرجس مرة ثانية في وصف جمالها بعيون الحسناء:

أحسَنُ ما فِي الوُجُوه العُيونُ وَأشبَهُ شَيء بِها النَرجِسُ

يظــلُّ يلاحــظُ وَجــهَ النَّديــ م فَريــدَاً وَحيــدَاً فَيســتَأنسُ

(المصدر نفسه: ٢٣٤/٣)

إنّ أحسن ما في النرجس أنها أشبه ما تكون بعيون الناظر الذي يترقب حال الناس ويستأنس برؤيتهم؛ فالشاعر يركّز علي سمة النظر في النرجس ويتصورها عيناً تراقب الناس وسمة النظر والمراقبة من طبع الإنسان وبذلك قد خلع الشاعر سمات الإنسان علي النرجس ووهبه صفة النظر ليشكّل بذلك فنّ الأنسنة والصورة بهدف بيان حسن المشبه.

كما يصف حال الزهرة الصفراء ذات البياض من خلال فنّ الأنسنة:

تَــري أَصــفرها الفاقــ ع فِــي أبيضــها المُونِــق

كَعَــينِ النّــاظِرِ الضّاحِــ كِ فِــي محجــرِه المُشــرِق

(المصدر نفسه: ٦٤٦/٤)

إنّ لون الزهرة الصفراء الفاقع مع بياضها الناصع تشبه حال العيون الضاحكة في أحداقها المشرقة؛ فهنا نشاهد فنّ الأنسنة يتحلي من خلال تصوير الورد الأبيض الذي يحفه الإصفرار بحالة العيون البيضاء لدي الإنسان المبتسم المشرق وتصوير الورد بالعيون إنّما تشخيص للورد وإضفاء ملامح الإنسان وتحديداً حسن البصر للنبات والهدف من الصورة بيان جمال المشبه.

كما أحياناً يصف الشاعر النرجس جامع بين صفتي الحزن والسرور في تصويره:

وَنرجِس كَالثُغُورِ مُبتَسِم لَهُ دُمُوعُ المحدقِ الشّاكي

أبكــاه قطــر النَّــدي فَهُوَ مِن القطرِ ضاحِكٌ

(المصدر نفسه: ١٨٩/٥)

إنّ النرجس المزدهر الندية يشبه حال الإنسان المبتسم الذي علت عيونه دموع الحزن فقد تساقطت عليه قطرات الندي فأضحكته وأبكته؛ وهنا نشاهد

أنّ صورة النرجس الجميل الذي علت صورته قطرات الندي تجسدت بهيئة الإنسان الباكي الضاحك وصفة الضحك والبكاء من سمات الإنسان وإضفاءها علي النبات قد خلق فنّ الانسنة والهدف من الصورة هو تجسيد حال المشبه وقد اجتمعت في التصوير فنون أخري من مثل الطباق بين الضحك والبكاء والشكوي والابتسام لتضفي علي الصورة المزيد من الجمالية.

ويصف الشاعر شقائق النعمان وما تميزت من جمال من خلال فنّ الأنسنة قائلاً:

وَكَأَنَّمَا لَمَعَ السَّوادُ إلي ما احمَرّ منها فِي ضُحي
حَدَّقَ العَواشِقُ وُسّطت نهلَت وَعلَّت مِن دُمُوع

(المصدر نفسه: ٦/٢٣٠)

كان شقائق النعمان وما تميزت به من زهرة سوداء وقد حفّ بها الإحمرار تشبه عيون العاشقين إحمرّت عيونهم من فرط البكاء وقد تجمعت فيها الدماء؛ والشاعر هنا يضفي سمات الإنسان وهي إسوداد بؤبؤ العيون وإحمرارها والصورة تهدف إلي تجسيد حال المشبه وهي تتميز بالدقة الوصفية ورسم هذه الصورة يكشف عن غور خيال الشاعر حتي سعي لموازنة شقائق النعمان الذي تميزت ألوانها بين سواد و بياض وإحمرار بعيون الإنسان الغاضب.

كما يصف الشاعر طول الورد فيستعير له صورة الجيد الحسناء بقوله:

بِعَينٍ يقظَي وَبِجيدٍ ناعِسَة لؤلـؤ الطَّـل عَلَيهـا قارِسـة

(المصدر نفسه: ٣/١٧٧)

إنّ الوردة تتميز بطولها المنحني كأنّه جيد حسناء ناعسة ؛ والجامع في الصورة هو الاعتدال والرشاقة وتصوير طول الساق بالجيد جاء بفعل توسع خيال الشاعر الذي يحاول أن يصور انحناءه وتثني بالجيد الناعسة المتمايلة وقد أجاد في وصفه والصورة من النوع الحسي البصري تهدف إلي بيان حال المشبه وبيان جماله.

كما يصف الشاعر حالة الورد الأصفر ويعبّر عن سبب إصفراره من خلال فن الأنسنة:

خيري وَردٌ أتاكَ في طَبَقٍ قَد مَلا الخافقين من عَبَقِه
قَد خَلَعَ العاشِقُون ما هجرُ بِألوانِهم عَلَي وَرَقِه

(المصدر نفسه: ٤/٧١٤)

إنّ الوردة التي تمّ تقديمها في طبق قد ملأت الآفاق بعطرها وعبقها وهي صفراء فاقعة كأنّها وجوه العاشقين أوان الهجر قد اصفرت وجوههم من شدة البعد والفراق؛ ويلاحظ هنا أنّ تصوير الوردة الصفراء بوجه العاشق المصفرّ من شدة الهجر من إبداع الشاعر لم يسبق إليه وهو تشبيه حسي بصري جاء بهدف بيان حال المشبه وإضفاء ملامح الوجه علي النبات شكّلت فنّ الأنسنة في هذا البيت.

كما يصف الشاعر حالة الشمس أوان المغرب وهي تودع الأزهار من خلال الأنسنة:

إذا رنقت شَمسُ الأصيلِ وَنفَّضَت عَلَـي الأفـقِ الغربـي ورسـا
وَوَدَّعَـت الـدُّنيا لتقضـي نَحبهـا وَشـوّل بـاقي عُمرهـا فَتَشَعشَـعا
وَلاحظـت النّـوار وَهـي مَريضَـةٌ وَقَد وضعت خَدّاً إلي الأرض
كَمـا لاحَظَت عـوادة عـينُ مُدنف تَوجّـعَ مِـن أوصـابِهِ مـا تَوَجَّعـا

(المصدر نفسه: ٤/٤٧٥)

إنّ شمس الأصيل قد جنحت للغروب واصفرّت علي الأفق الغربي مثل الزعفران وقد ودّعت ورد الربيع التي حزنت علي فراقها ووضعت خدودها علي الأرض من شدة الأسي وإنّ مثلها أشبه بالإنسان الذي يحتضر علي فراش الموت وقد التفّ حوله عوّاده يتأسون علي حاله؛ وتصوير الشمس الآفلة بالإنسان المحتضر من قبيل فنّ الأنسنة وإضفاء مشاعر الحزن والتوجع

والمرض والاحتضار علي الشمس والأزهار إنّما هو تشخيص للجمادات والنبات والصورة بديعة تشهد علي براعة خيال الشاعر ومقدرته الفنية في منح الأشياء الجامدة أحاسيس إنسانية.

كما نشاهد الأنسنة في تصوير الأزهار الندية بالعيون المغرورقة بالدموع:

وَظَلَّـت عُيـونُ النّـور تَخضـلّ كَمـا اغرورَقَـت عـينُ الشّـجي
يراعينهـا صـوار إليهـا روانيـا وَيلحظـن ألحاظـاً مِـن الشّـجو
وَبَـين أضـغاء الفِـراقِ عَلَيهمـا كَأنّهمـا خلّـا صـفاء تودعهـا

(المصدر نفسه: ٤/٤٧٥)

إنّ الأزهار قد تساقط عليها الندي وباتت تحكي حال العيون الشجية الدامعة حتي كأنّ تلك الأزهار الندية تشبه حال عاشقين افتقرا وانهالت دموعهما علي البُعد والفراق؛ وتصوير الأزهار الندية بعيون العاشقين المفترقين إنّما هو أنسنة الطبيعة وتشخيص للنبات فقد خلع الشاعر علي الطبيعة سمات الإنسان وبذلك أحياها وجعلها في هيئة الحبيبين المتفارقين.

كما يصف غروب الشمس مرة أخري من خلال فنّ الأنسنة فيجعلها بهيئة الإنسان المتثاوب:

كـان حبـو الشَّـمسِ ثُـمَّ غُروبِهـا وَقَـد جعلـت في مجـنح الليـلِ
تثاوب عينٌ مسّ أجفانَها الكَري يرنـقُ فيهـا النَّـوم ثُـمَّ تغمّـص

(المصدر نفسه :١/١٢٥)

كأنّ الشمس الآفلة للغروب كحال الإنسان المريض أو الشخص الذي يتثاوب وقد غلب الكري علي جفونه فهو يفتح عيونه تارة ويغمضها؛ ونشاهد هنا أنّ غروب الشمس وصف بهيئة الإنسان المريض والمرض من سمات البشر فقد شخّص الشاعر الشمس ليشير إلي تضآئلها كما هو حال المريض كما أنّ البيت الثاني يصورها بالإنسان المتثائب وفي ذلك تشخيص أي جعل لها

العيون والفم وملامح الإنسان الذي يتثاءب والتثاءب والغفو إنّما هو من سمات الإنسان وخلعها علي الجماد إنّما هو أنسنة الطبيعة والهدف من الصورة هو بيان حال المشبه والطرافة في التصوير.

كما يصف الشاعر حال الشمس وهي تبدو تختفي من خلال السحاب بالعروس المتسترة:

وَتَظهرُ الشَّمسُ في النّشاصِ مِن خلال الغَيم إذا
مثلُ عروسٍ تَستَّرت خجِلاً مِن بَعلِها بَعدَ أن تجّلاها

(المصدر نفسه :١٢٥/١)

إنّ الشمس تبدو وتظهر من خلال السحاب فهو يغشاها مرة ويكشف عنها تارة أخري فهي بذلك الحال تشبه وتحكي حال العروس التي تظهر تارة وتتستر خجلاً من زوجها تارة أخري؛ وتصوير الشمس بهيئة المرأة الحية إنّما هو أنسنة الجماد والهدف من الصورة بيان حال المشبه وهي تكشف عن إعجاب الشاعر بمرأي الشمس في تلك الحالة فهي صورة مبهجة جميلة.

ويصف الشاعر القمر بهيئة المرأة الجميلة من خلال فن الأنسنة:

يا مَن بِغُرَّتِه الهلالُ أما تَرَي قَمَراً السماء وَقَد بدا في المَشرق
كَخَريدةٍ نَظَرت إلي الفِ لَها فَتَلَثَّمَت خجِلاً بكمّ أزرق

(المصدر نفسه: ٧١٥/٤)

إنّ القمر يبدو في السماء الزرقاء مشرقاً بهياً كما تبدو الفتاة الحسناء وهي تراقب فتاها بخجل وحياء ما بين حجاب أزرق اللون؛ ونشاهد أنّ الشاعر جعل الشمس ما بين السدوف الزرقاء بهيئة الفتاة الحية ما بين ثيابها الزرقاء خجلة حية وبذلك فقد أضفي الشاعر ملامح الإنسان من مثل الخجل والنظر والترقب علي القمر وجعلها إنساناً يشعر ويترقب ويستحيي والهدف من الصورة هو بيان جمال القمر.

ويرسم الشاعر نجوم الليل بهيئة الشيب الذي احتل رأس الانسان:

رُبّ لَيلٍ كَأنّه الدّهرُ طُولاً قَد تناهي فَلَيسَ فيه مزيدُ
ذي نُجُومٍ كَأنَّهُن نُجُومُ شيبِ لَيسَت تَزولُ لكن

(المصدر نفسه: ٢/٦٩٢)

كم من ليل تطاول علي الشاعر حتي كأنّه لا ينتهي لفرط طوله وقد كانت نجومه أشبه بالشيب؛ ونشاهد هنا أنّ الشاعر تخيل صورة النجوم ما بين ظلام الليل الدامس بهيئة الشيب ما بين شعر الإنسان الأسود والجامع في الصورة هو وجود بياض ما بين كتلة سواد وإضفاء ملامح الشيب علي النجم إنّما هو أنسنة الجماد والصورة تهدف إلي بيان حال المشبه وهي تدلّ علي دقّة وصف الشاعر وغير مطروقة ممّا يشهد علي براعة خياله.

ويصوّر الشاعر حال المطر وما يفعله من بهجة في الروض عند تساقطه بقوله:

وَتضاحَكَ الرّوضُ الكَئيبُ حتَّي تَفَقَّقَ نَورُه المَرتُوقُ

(المصدر نفسه: ٤/٦٤٤)

إنّ الرياض باتت تتضاحك بعد أن هطلت عليها الأمطار الغزيرة وتفتقت الأزهار علي وقع المطر ابتهاجاً به؛ ويلاحظ هنا أنّ تصوير تضاحك الرياض لوقع المطر إنّما هو تعبير عن إزدهارها وهو فنّ أنسنة الجماد فقد خلع سمة الضخم علي الرياض ليشير إلي الازدهار والإخضرار والصهودة تهدف إلي بيان جمال المشبه وهي مطروقة بكثرة في الشعر العربي.

كما يصف الشاعر حال الغيث وهي تمطر علي الأرض من خلال فنّ الأنسنة:

غُيوثٌ رأي الإمحالَ فيه غَمامُه قرينَ حياةِ الأرضِ بَعدَ
أظلّت فَقالَ الحرثُ وَالنسلُ هذه فُتُوحُ سَماءٍ أقبلَت في
فَأطفَأ نِيرانَ الغَليلِ مواطر مضرمَةٌ نيرانُها في وُقُودِها

(المصدر نفسه: ٢/٦٠٤)

إنّ الغيوث قد ساحت علي الأرض وارتوت الارض الماحلة بمطرها حتي قبل أنّها فتوح سماوية منّ الله بها علي الأرض وأطفي نيرانها المشتعلة وأخمد شعلها المضطرمة؛ وهنا نلحظ أنّ تصوير المطر بالمنقذ الذي أنجي الارض من محلها ونيرانها إنّما هو أنسنة الجماد أي تخيل الشاعر السماء بهيئة الإنسان المنقذ الذي يلقي بمياهه علي نيران الأرض المشتعلة ليطفي لهيب عطشها وهي صورة بديعة تحمل طرافة وتشهد علي سعة خيال صاحبها.

ويصف الشاعر قوس قزح بهيئة المرأة ذات الرداء المطرز الملون وهي تسحب به علي الأرض كما شاء لها الهوي:

وَقَد نشرت أيدي الجنوبِ مطارفاً ... عَلَي الجَو دُكناً وَهي خُضرٌ عَلَي

يطَرِّزُهـا قَـوسُ المَسـاءِ بِحُمـرَةٍ ... عَلَي أخضر في أصفر وَسَط مُبيضّ

كَأذيـالِ خُـوذ أَقبلَـت في غَلائـل ... مصبَغةٍ وَالبَعضُ أقصَرُ مِن بَعض

(المصدر نفسه: ٤/٤١٩)

إنّ قوس قزح ظهر في السماء في ألوانه المتعددة ما بين الأخضر والأحمر والأصفر والأبيض... حتي كأنّه في طلته أشبه بالفتاة التي تسح أذيال ردائها الملون علي الارض؛ ويلاحظ أنّ الجامع في الصورة هو هالة تعدد الألوان بصورة منتظمة متلازمة وتصويرها برداء المرأة التي تحسبه شكل فنّ الأنسنة وهو يهدف إلي بيان حال المشبه.

كما أنّ البحر من الأمور التي وصفها الشاعر بهيئة الإنسان بطرقة فنية:

فأيسـر إشـفاقي مِـن المـاء أنَّـني ... أمـرٌ بِـه في المـوز مَـرَّ المُجانـب

أظـلّ إذا هَزّتـه رِيـحٌ ولَألَـأت ... لَـه الشَّـمسُ أمواجَـاً طِـوالَ

كَـــأنّي أَرَي فِـــيهِنَّ فُرســـان بهمّـــة يليحـــونَ نَحـــوي بِالسُّـــيوفِ

(المصدر نفسه: ٢١٦/١)

يصف الشاعر خوفه وفزعه من الماء فهو يري البحر إذا ما تعرض للرياح وثارت أمواجه بهيئة جيش من الفرسان يلحون باتجاه الشاعر بسيوفهم الفتاكة؛ وهنا نلحظ أنّ تصوير البحر المواج المصطخب بهيئة الفرسان الفتاكة إنّما هو فنّ أنسنة فقد أضفي الشاعر ملامح الحرب والسيوف والفروسية علي البحر ليعبر عن صخبه والصورة تهدف إلي بيان حال المشبه وتصوير فزع الشاعر عند رؤيته وهي صورة بديعة لم يسبق لها عهد.

خاتمة البحث :

كان ابن الرومي من أبرز شعراء الوصف والطبيعة في العصر العباسي فقد ظهرت براعته وقدرته في الوصف أكثر من براعته في بقية الفنون، فقد كان الوصف مزيّة ابن الرومي الأولى عالج به مختلف أبوابه الشعرية وبه عبّر عن أحاسيسه الداخلية، لذلك صار من أبرع وأشهر الوصافين في الأدب الشعري وبه عبر عن أحاسيسه الداخلية العربي خاصة في تصويره الطبيعة واندماجه فيها. انغمس الشاعر في الطبيعة بكلّ ما تحمله من رياض وطيور وأزهار وورود ونبات وأخذ يضفي عليه مشاعره وأحاسيسه وقد وهبه سمات الإنسان فأصبحت الطبيعة لدي الشاعر تنطق وتري وتتحوار وتسمع وتبكي وتضحك وتختال... وهي تتميز بكل حواس البشر الحيّ وكان الشاعر يهدف من عملية الأنسنة فضلاً عن خلق الجمالية في الوصف، التعبير عن أفكاره وأحاسيسه وعالمه ومجتمعه فإذا ما دقّقنا في وصفه نجده انعكاساً دقيقاً لنفسية الشاعر وومشاعر الإنسان عموماً.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم .

- ابن الرومي، علي بن عباس، (١٩٩٥)، الديوان، شرح: عمر فاروق الطباع، ج١-٦، ط١، بيروت: دارالأرقم بن أبي الأرقم.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٩٨)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- أبومصلح،كمال، (١٩٩٥)، ابن الرومي، بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر.
- التميمي، فاضل عبود، (٢٠٠٧)، التجسيد في الدرس البلاغي والنقدي عند العرب، مجلة الفتح، العدد التاسع والعشرون.
- الجرجاني، أبو بكر أبو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (١٩٩١)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمدشاكر أبوفهر، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- حمود، محمد ١٩٩٤؛ابن الرومي الشاعر المغبون، ط١، بيروت: دار الفكر اللبناني.
- سيد قطب (شاذلي، سيد ابراهيم حسين)، (١٩٩٨)، في ظلال القرآن، بيروت: دار الشروق.
- الصائغ، عبدالإله، (١٩٨٧)، الصورة الفنية معياراً نقدياً، بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- طبانة، بدوي، (١٩٩٩)، قضايا النقد الأدبي، الرياض: مطبعة الرياض العليا.
- عبد المجيد الحر، (١٩٩٢)، ابن الرومي عصره حياته نفسيته فنه من خلال شعره ، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- عطوي، فوزي، (٢٠٠٢)، ابن الرومي شاعر الغربة النفسية، بيروت: دار الفكر العربي
- غريب، جورج، (١٩٣٨)، ابن الرومي دراسة عامة، ط٢، بيروت: دار الثقافة.
- مجدي، وهبة وكامل المهندس، (١٩٨٤)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان.
- معتوق، جورج، (١٩٨٤)، ابن الرومي، بيروت: الشركة العالمية للكتاب.
- ناصيف؛ إميل، (٢٠٠٦)، من أروع ما قال ابن الرومي، بيروت: دار الجيل.

- ناظم، حسن، (٢٠٠٦)، أنسنة الشعر (مدخل إلى حداثة أخرى: فوزي كريم نموذجاً)، ط١، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- نوفل، سيد، (٢٠٠٢)، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ط٢، القاهرة: دار المعارف بمصر.